المناهج الدراسية والسلام العالمي

الأستاذ الدكتور

عبد الله محيي أحمد عزب

أستاذ العقيدة والفلسفة ووكيل كلية أصول الدين القاهرة

ملخص البحث

Summary of research, "curriculum and world peace"

By Dr. Prof. Abdullah Muhie Ahmad Azab

Praise be to Allah and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions.

The curriculums in general are very much related to the culture of the society, its ideology, its trends and its religious and ethical standards. Curriculums are the source of strength for any nation. They are the path to the end and goal. They are a coherent and integrated series of educational experiences planned by the educational institution in order to achieve specific educational goals in accordance with the principles and purposes of this approach as the specialists see it.

I spoke in this research on the curriculums in Egypt: at Al- Azhar university and in the Education Foundation. I have shown that they are compatible with moderate and middle thought and that they do not conflict with explicit text or true mind Then I have shown the extremist curricula which were shown by groups that carried texts on their face and extremist groups that used violence, murder, and assault on mone and honors through their misunderstanding and misinterpretation of the texts of the Qur'aann and sunnah.

I also spoke about Islam's position on this extremist ideology and the position of these groups on world peace and showed that Islam is the religion of peace. I also explained the position of Islam on modern intellectual trends such as secularism, enlightenment and modernity, and indicated that it contradicts the texts of revelation and is based on fallacies and sophistry.

Success is granted by Allah.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

فإن المناهج الدراسية بصفة عامة ترتبط إلى حد كبير بثقافة المجتمع وفكره واتجاهاته ومعاييره الدينية والأخلاقية، فالمناهج هي مصدر القوة لأي أمة، ذلك لأن النشء يتربى عليها، ومن خلال المناهج يتم تهيئة الناشئة وطلاب العلم في المراحل المختلفة، روحيًا وعقليًا وجسديًا، لحفز طاقاتهم ، والتعرف على اتجاهاتهم ودوافعهم وميولهم، واستثمارها الاستثمار الأمثل لتحقيق أهداف وتطلعات المجتمع، وهذه الأهداف والتطلعات تتطلب منا فحص المناهج الدراسية وتقويمها، والوقوف على مكامن القوة والضعف فيها، لتطويرها

وتعديلها بما يحقق أهداف خططها التنموية في مختلف المجالات الدينية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومما لاشك فيه أن الحقوق والمبادئ الإنسانية تتطلب أن تكون المناهجُ لها دور مؤثر وفعال في نشر الأفكار التي تركز عليها، وذلك يكون بتطويرها بما يناسب مستجدات الزمان والمكان.

والمنهج هو الطريق الموصل إلى الغاية أو الهدف، قال تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨] والمنهج الدراسي عبارة عن سلسلة مترابطة ومتكاملة من الخبرات التربوية المخططة من قبل المؤسسة التعليمية بهدف تحقيق أهداف تربوية وتعليمية محددة، وفقا للمبادئ والمقاصد لهذا المنهج كما يراه المتخصصون فيه.

وتنبثق الخبرات التربوية من الأسس العقدية والفلسفية، والفقهية والاجتماعية، والسياسية للمجتمع، حيث يبلور المجتمع أهدافه العامة حول تلك الأسس، ثم يعهد إلى النظام التربوي لتحقيقها عبر المناهج التي تصيغها في صورة أهداف خاصة، ثم أهداف سلوكية دقيقة يقاس من خلالها مستوى التقدم الذي حققه المتعلمون في ضوء المُخْرج المتوقع.

وحيث إن واقع المجتمعات هو التجدد والتغير، وما يحدث فيها من مستجدات، فإن هذا ينعكس بدوره على المناهج التعليمية التي يجب أن تتوافق مع هذا التغيير وفقا لتطلعات وتوجهات المجتمع التي تجد وتستحدث.

والعالم اليوم في عصر شبكات التواصل الاجتماعي الإنترنت يعيش في قرية صغيرة؛ مم جعل الإنسان ينفتح على ثقافات العالم كله، ويتفاعل معها بصورة يصعب معها وجود مجتمع ينغلق على نفسه؛ فقد حدث تغير في دور الأسرة ووظيفة المدرسة، تبعًا لما يحدث في العالم من متغيرات وأحداث؛ وهذا يفرض بالضرورة على مناهج التعليم اتخاذ تدابير معينة لمواجهة ومراعاة تلك المتغيرات سواء أكانت محلية أم عالمية، وتعتبر قضية الانتهاكات التي يرتكبها الجماعات الضالة والمتطرفة والتي لا تتوافق مع السلام الإقليمي والعالمي واحدة من أهم قضايا هذا العصر التي يجب معالجتها في المناهج الدراسية، لأن السلام العالمي حق من حقوق الإنسان، وهو يتطلب منا أن نقوم بتربية التلاميذ وطلاب العلم تربية إنسانية صحيحة، وهذا ما يجب على من يعملون لأجل السلام الإقليمي والعالمي.

السلام في مصادر الإسلام (القرآن والسنة)

من المعلوم لدى عامة المسلمين أن قضية السلام في الإسلام لها شأنٌ عظيم، وما أرسل الله رسله وأنبياءه إلا بهدف بناء السلام، ورفع لوائه الدائم، مع بقية المثل العليا التي دعا إليها الإسلام، وما كان السلام في الإسلام أمرًا شخصيًا، ولا هدفا قوميًا أو وطنيًا فقط، بل كان أيضًا عالميًا، وشموليًا، وخالدًا، ولقد شارك في إنشاء صرح السلام كل الأنبياء والمرسلين، ولم يكتمل بناء السلام منهجيًا ولم يتم، إلا برسالة النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ، حيث يقول: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين)(١).

والإسلام يدعو إلى السلام بكل معانيه كما جاء في القرآن والسنة، وهذا أمر واضح لكل أصحاب الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، وكلّ الشرفاء من أنصار السلام ومحبيه، مهما بذلوا من جهد، لا يستطيعون أن يقدسوا السلام كما قدسه الإسلام؛ عقيدة، وتشريعًا، وأخلاقا، ومنهجا وتنفيذًا.

ولقد جعل الإسلام السلام في قمة وذروة القدسية والإجلال، فجعله من أسماء الله الحسنى، يقول المولى عز وجل: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ } [الحشر: ٢٣] فجعل اللهُ السلامَ من أسمائه المقدسة، ليكون السلام معشوقَ الإنسان المؤمن، ومحبوبَه، وهدفَه في هذا الوجود، ومنشودَهُ، فمن أحب السلام فقد أحب الله، والعمل باسم الله (السلام) من مقتضى إحصاء أسماء الله الحسنى الذي أخبرنا به النبي ﷺ أن من أحصاها ـ أي أسماء الله الحسنى ـ دخل الجنة(٢)، ثم زاد سيدنا محمد ﷺ أمرَ السلام توضيحًا وتبيينًا، فقال: (اللهم أنت السلام ومنك السلام - أي ومن تشريعك يكون السلام - تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام)(٣) ، بل لقد جعل الإسلام شعاره وتحيته السلام على المسلمين وغير المسلمين،

(١) رواه البخاري كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين، ورواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب:ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

(٢) صحيح البخاري: كتاب: الشروط، باب: بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الِاشْتِرَاطِ وَالثُّنْيَا فِي الإِقْرَارِ، وَالشُّرُوطِ الَّتِي يَتَعَارَفُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ رقم الحديث: ٢٧٣٦، وسنن ابن ماجة كتاب: الدعاء، باب: بَابُ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رقم الحديث ٣٨٦٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، باب: اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، رقم الحديث: ١٣٥، وسنن ابن ماجة كتاب: إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، باب: مَا يُقَالُ بَعْدَ التَّسْلِيمِ، رقم الحديث: ٩٢٤.

فنقول كما أمرنا النبي ﷺ "السلام عليكم" وردها السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"(٤).

ثم أتى القرآن ثانيًا ليجعل السلام يدخل في صفة مهمة من أوصاف الجنة والنعيم الأخروي، فقال تعالى: {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}(سورة يونس: [الآية: ٢٥] ولم يكتف الإسلام بذلك، بل أصدر القرآن أمره الإلهي للمؤمنين، قائلًا: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} (سورة البقرة: [الآية ٢٠٨].

والنبي ﷺ به خُتِمَت رسالات السماء، وبه كَمُلَ التشريع الإلهي لتحقيق السلام العالمي لجميع أفراد الإنسان وتحقيق الإخاء والتعاون العالمي من أجل سعادة كل بني آدم، سلام روحي ونفسي واجتماعي وسياسي واقتصادي، فهو يشمل كل أوجه الحياة ومناحيها.

والسلام في الإسلام ليس خاصًا بالمسلمين فقط، بل يشمل كل من عاش في كنف الأرض التي انتشر فيها الإسلام، وقد جعل الإسلام السلام مبدأ للتعايش بين جميع أفراد الإنسان، وأساسا للعلاقة التي تهيؤهم للتعارف والتعاون والتكافل وإن اختلفت أصنافهم وأعراقهم وعقائدهم، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣] بل ويدعو الإسلام إلى السلام العالمي الذي يحمي صوامع الرهبان ومعابد اليهود وكنائس النصارى ومساجد المسلمين قال تعالى: { ولوَلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠].

ويؤكد ما ورد في النصوص السابقة معاملة النبي ﷺ وأصحابه مع أهل الكتاب فقد تعامل معهم النبي ﷺ بطريقةٍ حسنةٍ، وكان ﷺ لا يظلمهم ولا يسلب منهم حقوقهم، بل على العكس عندما وصل المدينة المنورة مهاجرًا نظّم علاقة المسلمين باليهود الموجودين فيها، وبيّن حدود كل طرفٍ منهم، وكان من أسس الوثيقة بينه وبين اليهود:

(أ) الحق في اختيار الدين: ولم يرد أو يؤثر عن النبي ﷺ إكراه اليهود على اعتناق الإسلام.

(ب) الحق في التملّك: وقد أقر النبي ﷺ حق اليهود في امتلاك أي شيءٍ يريدونه ولم يحاول مصادرة ممتلكاتهم.

(ج) حق الحماية والدفاع: فقد تكفّل الرسول ﷺ بحماية اليهود الموجودين شأنهم شأن

(٤) صحيح البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رقم الحديث: ٣٣٢٦ (٤/ ١٣٢).

المسلمين، وبأنهم يتعاونون معًا على الأعداء الخارجيين.

(د) حق العدل في المعاملة ورفع الظلم: فقد تعامل النبي ﷺ مع اليهود على أساس المساواة، ورفع الظلم عنهم، ولو وقع الظلم عليهم من قِبل المسلمين لم يتوانَ عن الحكم لصالح يهودي إنْ كان على حقٍ، وبالجملة نصت الوثيقة إلى التعاون على البر والتقوى، ونصرة المظلوم، وإطعام الجائع، وأن تتعاقل كل قبيلة معاقلهم الأولى، وختمت بأن كل خلاف يقع بين أهل هذه الصحيفة فإن مرجعه إلى النبي - ﷺ(٥).

ويفهم من اسس الوثيقة السابقة أن الاختلاف في الدين ليس مبررا للعداوة والخصومة بين المسلمين وغير المسلمين قال تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: ٦] وأن الناس جميعا في حكم الإسلام إخوة في الإنسانية تتساوى أدميتهم وكرامتهم قال تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠].

وبهذا قرر النبي ﷺ أن يكون التعامل مع غير المسلمين قائما على مبدأ التسامح والعدل والبر والإحسان إليهم، بل وقرر بهذه الوثيقة حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرية المواطنة، وحقوق المواطنة، وحرمة النفس، وحق الحياة، وحرمة المال والعرض، يقول المفكر الفرنسي المعروف غوستاف لوبون: "إنَّ مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية.

إنَّ أساس علاقة المسلمين مع غيرهم قائمة على الفضائل الأخلاقية، وهم لا يبدؤن بالاعتداء على غيرهم إلا إذا كان ردا على الاعتداء عليهم وبأمر من الحاكم، يقول الله عزَّ وَجلَّ: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [الممتحنة: ٨، ٩] فالبر والقسط الواردان في الآية الأولى مطلوبان من المسلم تجاه كلِّ الناس، ما لم يقفوا في وجهه ويضطهدوا أهله، وقد فسر علماء الإسلام البرّ الوارد في الآية بقولهم: هو الرفق بضعيفهم، وسد خَلَّة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم - على

(٥) راجع: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، محمد بن صامل السُلَميُ ص: ١٧٢، نشر: مكتبة روائع المملكة- جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م، وانظر مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، أحمد إبراهيم الشريف، ص: ٣٣٥، الناشر: دار الفكر العربي.

سبيل التلطف لهم والرحمة - وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم(٦).

ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منْزلة خاصة في المعاملة، فالقرآن ينهى عن مجادلتهم إلا بالحسنى، قال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [العنكبوت: ٤٦].

والإسلام يبيح الأكل من ذبائح أهل الكتاب ومصاهرتهم، وهذا هو أصل التسامح الذي يتم به السلام، وكان ﷺ يجالس أهل الكتاب ويأكل طعامهم، ويتزوج منهم، وقد أباح القرآن ذلك كله، قال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [المائدة: ٥].

ولأهل الكتاب في دار الإسلام حقُّ الحماية من كلِّ عدوان خارجي، ومن كلِّ ظلم داخلي يقول رسول ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٧) ، وفي عهد النبي ﷺ: لأهل نجران أنَّه لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر(٨).

ودماء أهل الذِّمة وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم معصومة باتّفاق المسلمين، وقتلهم حرام بالإجماع، قال رسول الله ﷺ: "مَن قتل معاهدً لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا"(٩).

ومن أهم المبادئ التي تعامل بها الرسول الكريم ﷺ مع الآخر: أنه لا إكراه في الدين: فلا إرغام لأحد على الدخول في الإسلام حتى لو كان المُرغِم أبًا يريد الخير لأبنائه، أو كان المُرغَمُ ابنًا لا يشك في شفقة أبيه عليه، والحق تبارك وتعالى بين لنا في كتابه أنه لا يجوز إكراه الناس للدخول في هذا الدين، لأنه تعالى لو أراد أن يكون كل الناس مؤمنين لفعل، ولكنه أراد هذا الاختلاف فقال عز وجل: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٩].

---

(٦) راجع تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٩/ ٥٢١)، وتفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٤٦٩)

(٧) سنن أبي داود بَابٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي جِبَايَةِ الْجِزْيَةِ (٣/ ١٧١) والسنن الكبرى البيهقي بَابُ لَا يَأْخُذُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ثِمَارِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَا أَمْوَالِهِمْ شَيْئًا بِغَيْرِ أَمْرِهِمْ رقم الحديث ١٨٧٣١.

(٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: ج٤ / ١٧٧، رقم الحديث ٣٩٠٤.

(٩) سنن ابن ماجه: كتاب الديات، باب من قتل معاهدا، رقم الحديث ٢٦٨٦ (٢/ ٨٩٦).

ولم يكتفِ الإسلام بمنح الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم، بل أباح لهم ممارسة شعائرهم، وحافظ على أماكن عباداتهم، فقد كان ينهى النبي محمد ﷺ أصحابه عن التعرض لأصحاب الصوامع، ولم يتعرض يومًا لدار عبادة لغير المسلمين، وقد فقه هذا المعنى جيدًا أصحابه وخلفاؤه من بعده؛ لذلك كانوا يوصون قادتهم العسكريين بعدم التعرض لدور العبادة، لا بالهدم ولا بالاستيلاء، يقول ول ديورانت عن تعامل المسلمين في حروبهم: " إنهم لم يكونوا في حروبهم متوحشين، انظر إلى ما وصاهم به أبو بكر، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني ، لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا له"(١٠).

وتتجلَّى سماحة الإسلام في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهودًا كانوا أو نصارى، فقد كان ﷺ يزورهم، ويكرمهم ويحنّ إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، ويؤكد ذلك ما رواه أَنَسٍ، أَنَّ غُلَامًا، مِنَ الْيَهُودِ كَانَ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ"(١١).

ومرَّت به ﷺ جنازة، فوقف لها، فقيل له: إنَّها جنازة يهودي، فقال عليه الصلاة والسلام: أو أليست نفسًا"(١٢)، وروى أنسَ بْنَ مَالِكٍ عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»(١٣).

وفي يوم فتح مكة، حين مكَّن الله رسوله الكريم من رقاب مَن آذوه من المشركين وسعوا لاغتياله، وقف أمامهم وقال: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء"(١٤) هكذا بمنتهى العفو بل الإحسان ينسى ﷺ الإساءة، ويتجاوز عمَّن دبَّروا أبشع المؤامرات لسفك دمه ﷺ، ودون أي قيد أو شرط.

وعندما قدم وفد نصارى نجران باليمن على رسول الله ﷺ في المدينة دخلوا عليه مسجده

---

(١٠) قصة الحضارة: م ٧، ج١٣ ص ٧٣، طبع الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١م.

(١١) سنن أبي داود " كتاب الجنائز باب: فِي عِيَادَةِ الذِّمِّيِّ رقم الحديث ٣٠ ٩٥ (٣/ ١٨٥.

(١٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ، رقم الحديث ١٣١٢، (٢/ ٨٥.

(١٣) مسند أحمد مخرجا رقم الحديث: ١٢٥٤٩ (٢٠/ ٢٢.

(١٤) السنن الكبرى للبيهقي: بَابُ الْمُشْرِكِينَ يُسْلِمُونَ قَبْلَ الْأَسْرِ رقم الحديث ١٨٢٧٦، (٩/ ٢٠٠.

بعد العصر، فكانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال سيدنا محمد ﷺ: «دعوهم» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم(١٥)، وكان في الوفد ساداتهم وكبار القساوسة وأحسن رسول الله ﷺ استقبالهم، وتناقش معهم في أمور الدين، ولم يجبرهم على الإسلام، ولكن أمنهم على أرواحهم وأموالهم وكنائسهم، وعادوا إلى بلادهم سالمين أمنين.

وحرص ﷺ على القيام بحقوقهم في الجوار فقال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره"(١٦) فشمل حديثه كل جار حتى لو كان من غير المسلمين.

ولم يأت محمد ﷺ ليسلب الحرية من الذين لم يتبعوه، بل قد تعامل معهم بتسامح كبير، كما سمح لهم بإقامة حياتهم الاجتماعية وفق مفاهيمهم الخاصة، كالزواج والطلاق ونحوه.

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن تعاليم الإسلام الواردة في القرآن والسنة رَسْخَت مبدأً مهمًّا هو أن الأصل في المسلم المعاملة الحسنة مع كل الناس؛ فقد قال النبي ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١٧) ومكارم، الأخلاق مع كل الناس سواء أكان مسلما أم غير مسلم، إن التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم والمجتمعات والأفراد أمر تحتاجه الإنسانية حاجة ماسة، وقد أمر سيدنا محمد ﷺ في رسالته بالرحمة في كل جوانبها، وحسن التعامل بشتى وجوهه.

هذا، وقد أمر سيدنا محمد ﷺ المسلمين بحسن رعاية أهل الذمة الذين يعيشون في أكنافهم، فمن احتاج منهم للنفقة تكفلوا به، فالدولة مسؤولة عن الفقراء من المسلمين وأهل الذمة على السواء، فتتكفل بالمعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه؛ لأنهم رعية للدولة المسلمة، وهي مسئولة عن كل رعاياها، وقد قال النبي: «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته"(١٨) ومن كل ما سبق يتبين لنا أن الإسلام بتعامله مع الآخرين يدعو إلى السلام العالمي، ولم يقم دولته ولا تعامله مع غير المسلمين على أساس اختلاف الدين، بل أقام هذه العلاقة على أساس موقف الآخر منا، ومعاملته لنا مسالمة أو معاداة.

ومن أجل تحقيق السلام بين الأفراد والمجتمع والعالم أجمع دعا علماء الإسلام إلى

---

(١٥) سيرة ابن هشام تحقيق السقا (١/ ٥٧٤).

(١٦) مسند أحمد: ط الرسالة (١١/ ١٢٦).

(١٧) السنن الكبرى للبيهقي: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: بَيَانُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، رقم الحديث ٢٠٧٨٢.

(١٨) مسند أحمد ط الرسالة: رقم الحديث: ٤٤٩٥، (٨/ ٨٣).

تصحيح الأفكار الخاطئة والصور النمطية المتصلة بالتكفير والعنف والإرهاب، ونقضها بالأدلة القطعية، إضافة إلى التركيز على ما في هذا الدين الحنيف من قيم ومفاهيم إنسانية خالدة مثل الحب والطهارة الروحية والتعاون والتكافل والتراحم والتسامح، والسعي إلى تبيين رأي الإسلام فيما استجد من قضايا عالمية معاصرة، خاصة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وربط الفكر الإسلامي المعاصر بالمشاغل الإنسانية العالمية المستجدة، واقتراح حلول شرعية لها، والمساهمة في النهوض بالإنسانية جمعاء، مما تردت فيه من أهوال وأزمات بسبب البعد عن السلام الذي يبثه الإسلام.

المناهج الدراسية في مصر

بالنظر في المناهج الدراسية الرسمية في مصر بصفة عامة نجد أنها تدعو إلى السلام الإقليمي والعالمي، سواء أكانت في وزارة التربية والتعليم أم في مؤسسة الأزهر الشريف في معاهده وكلياته، وذلك من خلال إضافة مفردات ومناهج إلى المناهج الدراسية مثل مادة المواطنة المقررة على الصف الثاني الثانوي ومادة التربية القومية المقررة على باقي الصفوف في مراحل التعليم المختلفة، ومن خلال مادة الثقافة الإسلامية التي قررها الأزهر الشريف برعاية الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب على الصف الثالث الإعدادي، وعلى المرحلة الثانوية الأزهرية، وعلى الكليات العملية في جامعة الأزهر، بل وقد أهدى الأزهر كتاب (دور الإسلام في مواجهة الإرهاب) للطلاب الجدد الملتحقين بالجامعات المصرية هذا العام مساهمة منه في توعية ووقاية الطلاب من براثن الإرهاب وإرساء دعائم السلام التي يدعو إليها الإسلام، وهذه المواد تركز على المساواة في الحقوق والواجبات، والحفاظ على الكرامة الإنسانية، وحرية العبادة، وعلى التسامح والمحبة والعفو والصفح وصولًا إلى مرحلة المواطنة نصًا وحرفًا وتطبيقًا بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن أصنافهم أو أعراقهم أو عقائدهم فالجميع له حق المواطنة، والمساواة، والجميع له حق التمتع بالحقوق الإنسانية دونما تمييز من أي نوع، مثل التمييز بسبب العنصر أو اللون أو الصنف أو اللغة أو الدين، أو الأصل الوطني، أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر، وذلك تنفيذا لما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، كما أن مادتي الثقافة الإسلامية التي قررها الأزهر بمراحل تعليمه المختلفة وكذلك كتاب دور الإسلام في مواجهة الإرهاب وهما يبينان للطلاب الفكر الوسطي المعتدل الذي يدعو إلى السلام وينبذ الأفكار الهدامة والخاطئة التي تدعوا إليها الفرق الضالة والجماعات الإرهابية والمتطرفة التي تدعو

إلى القتل والحرق وسفك الدماء، وليس معنى هذا أن تطوير المناهج توقف عند هذا الحد، بل يوجد لجنة دائمة في الأزهر الشريف لتطوير مستمر للمناهج بما يواكب مستجدات الحياة، وللوقاية من الأفكار المنحرفة والمتطرفة التي تدعو إلى الإرهاب وتعرقل عملية السلام.

ومما هو جدير بالذكر أن الدعوة إلى السلام العالمي في المناهج الدراسية بل وفي وسائل الإعلام المختلفة ظهر كرد فعل في السنوات الأخيرة لكثير من الانتهاكات التي أحدثها الإنسان لأخيه الإنسان بسبب التطرف الفكري الذي يترجم على أرض الواقع إلى القتل وسفك الدماء، وإشعال النيران والتشدد والتعصب للرأي، وهذا الذي يحدث من انتهاكات ليس له أصل في مناهج الأزهر الشريف، ولا في مناهج التربية والتعليم، والسبب في التطرف والإرهاب من وجهة نظري المتواضعة يرجع إلى نمطيين من أنماط التفكير أحدهما رد فعل للآخر، وهذان النمطان هما:

١ ـ المذاهب المادية والعلمانية والاتجاهات التي تدعي الحداثة والتنوير، وإفراط هذه المذاهب في الدعوة غير المباشرة إلى تفريغ الدين عن مضمونه كان له رد فعل في تشدد النمط الثاني الذي أخذ بظاهر النصوص دون أي تفكير فيها.

٢ ـ مذاهب الإسلام السياسي الممثلة في الإخوان المسلمين والسلفية العلمية، والسلفية الجهادية ، وداعش، وهذه المذاهب تسمى في الوسط الإعلامي بالأصولية الإسلامية، أي الذين يأخذون بظاهر النصوص دون إعمال للعقل فيها، وهذه المذاهب ترفض المجاز والتأويل، ويعتبرون رأيهم هو الصحيح وما سواه باطل.

التعريف بهذه الفرق ومناهجها

أولا المذاهب المادية كالشيوعية والعلمانية:

الشيوعية تنكر الأديان جملة وتفصيلا ويقولون إن الدين أفيون الشعوب، وأن الحياة مادة، وأن المادة ليست مخلوقة، ولا يعترفون بما هو غيبي أو معنوي، وماركس صدر كتابه بقوله لا إله والحياة مادة، كما هو معروف للجميع.

والعلمانية: كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) على الإطلاق ولا حتى مشتقاته، والترجمة الصحيحة لها من المعاجم ودوائر المعارف "الدنيوية" وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن العلمانية: "حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها" فالعلمانية حركة فاسدة منبثقة عن الشيوعية تهدف إلى فصل الدين عن الدولة، والانكباب على الدنيا، والانشغال بشهواتها وملذاتها، وجعلها هي الهدف الوحيد

في هذه الحياة، ونسيان الدار الآخرة والغفلة عنها، وعدم الالتفات إلى الأعمال الأخروية.

ثانيا تيارات الإسلام السياسي الممثلة في الإخوان المسلمين والسلفية العلمية والسلفية الجهادية.

١ - تنظيم الإخوان المسلمين اتجاه سياسي بحت ونحن لسنا في حاجة إلى التعريف بهم فهم وصلوا للحكم باسم الإسلام وفقا لشعارهم الإسلام هو الحل، وما قالوه اليوم يشبه قول الخوارج في الزمن الماضي لأمير المؤمنين على ابن أبي طالب - رضي الله عنه - لا حكم إلا لله، فقال قولته الشهيرة كلمة حق أريد بها باطل، وأعتقد أن الأمر واضح ولا يحتاج إلى تعليق، لأن الواقع الأليم الذي نعيشه الآن وعدم الاستقرار في البلاد سببه المشاكل التي يفتعلها هذا التنظيم.

٢ - السلفية الجهادية

مصطلح السلفية الجهادية أطلق منذ نهاية الثمانينيات على يدي بعض جماعات الإسلام السياسي التي تتبنى الجهاد منهجًا للتغيير، تم أبرزوه كاتجاه فكري مميز في عهد أنور السادات، وهذا التيار يعلن أنه يتبع منهج سلف المسلمين الأوائل، وأن الجهاد أحد أركانه، وأن الجهاد يجب وجوبًا عينيًا على المسلمين ضد النظام الحاكم المبدل للشريعة الإسلامية ويحكم بالقوانين الوضعية، أو النظام المبالغ في الظلم والقهر، فالسلفية الجهادية عبارة عن جماعات أو أفراد حملوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي، وحملوا فكرًا محددًا يقوم على مبادئ الحاكمية ، فهم يرون أن التغيير بالقوة هو أنسب وأصح الوسائل للتحرر.

داعش هي تنظيم مسلَّح يتبع الأفكار السلفية الجهادية، ويهدف أعضاؤه - حسب اعتقادهم- إلى إعادة "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، وتوجد أفراده وينتشر نفوذه بشكل رئيس في العراق وسوريا وفي مناطق أخرى كجنوب اليمن وليبيا وسيناء والصومال وشمال شرق نيجيريا وباكستان، وزعيم هذا التنظيم هو أبو بكر البغدادي.

وداعش معروفة بفيديوهات قطع الرؤوس للمدنيين والعسكريين على حد سواء، وممن قطعوا رؤوسهم صحفيين وعاملين في الإغاثة، ومعروف تنظيم داعش بتدمير الآثار والمواقع الأثرية.

ولقد أنبثق تنظيم داعش من تنظيم القاعدة في العراق الذي أسسه وبناه أبو مصعب الزرقاوي في عام ٢٠٠٤م، وهذا التنظيم يحارب كل من يُخالف آراءه وتفسيراته الشاذة من

المدنيين والعسكريين ويصفهم بالرِّدة والشِّرك والنفاق ويستحل دماءهم.

السلفية العلمية

السلفية العلمية انتشارها خطير جدا وهي تمتد إلي متأخري الحنابلة وابن تيمية وابن قيم الجوزية والمدرسة التي تنتمي إليهم، والسلفية بأنواعها المختلفة، أو بعبارة أخرى الفرق المتسيلفة، أو الذين يدعون السلفية ينكرون المجاز والتأويل ويأخذون بظاهر النصوص ويتمسكون بالآراء المتشددة في الفقه المأثورة عن الحنابلة المتشددين، وإثبات النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه في العقيدة، مع أن الإمام أحمد بن حنبل لا يوجد عنده هذا التشدد، يقول ابن الجوزي في رده علي الذين يدعون أنهم أتباع الإمام أحمد ابن حنبل:" فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه".... ثم قال بعد ذكره لأقوالهم المتشددة والتي يأخذونها من حيث الظاهر " إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح فلا تدخلوا في مذهب الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، فلقد كسيتم هذا المذهب شيئا قبيحا، حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسم، ثم زينتم مذهبكم أيضا بالعصبية"(١٩).

وهذه الفرق المتسيلفة تعرف في الأوساط الإعلامية بالأصولية الإسلامية، أي الذين يتبعون ظاهر النصوص دون إعمال للعقل فيها، وكل هذه الفرق تدعي أنهم يتبعون السلف الأوائل، وهي دعوى باطلة لا تمت إلى الواقع بصلة.

كل يدعي وصلا بليلى　　　　وليلى لا تقر لهم بذاك.

وبين الفرق التي تدعي السلفية والمذاهب المادية أو العلمانية مذهب وسط معتدل ممثل في الأشاعرة والماتريدية وهذا المذهب يعد الامتداد الحقيقي للسلف الأوائل رضوان الله عليهم، وهذا المذهب هو الذي يتبناه الأزهر الشريف في مراحل تعليمه المختلفة، وسوف أبرهن على هذا الكلام، هذا عن التعريف بالفرق المادية والفرق التي تدعي السلفية باختصار شديد، وإليكم بيان منهج كل هذه الفرق الذي هو في الجملة ضد السلام الإقليمي والعالمي الذي دعا إليه الإسلام.

أولا مناهج العلمانية ومن يدعي الحداثة والتنوير

أما عن مناهج العلمانية ومن يدعي التنوير والحداثة فهي تعتمد على الطعن في الثوابت الإسلامية ومن ينتمون إلى هذه المناهج يطعنون في السنة النبوية مرة من خلال طعنهم في

---

(١٩) دفع شبهة التشبيه: ابن الجوزي، ص ٨ وما بعدها، ط: نشر الكليات الأزهرية، سنة: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٥ م.

الصحيحين البخاري ومسلم، وأخرى في كتب التراث الإسلامي بشبهة أن فيها آراءًا تدعو إلى الإرهاب، ومرة ثالثة في أعلام الإسلام وعلمائه، ويطعنون في الأزهر ومناهجه، وبكل أسف هؤلاء يجدون من ينخدع بفكرهم المتطرف الذي يريد أن يفرغ الإسلام عن مضمونه حتى يصبح شكلا فقط، ، أو صورة بلا مادة، وهم بهذا المنهج يهدفون التشكيك في الثوابت الإسلامية، أي في مصادر التشريع الأساسية، وفي كبار الأئمة، ومن ثم فقدان الثقة بهذه الثوابت، وإذا فقدت الثقة بالثوابت والأئمة وصل المشكك إلى هدفه، وهو هدم الدين في قلوب متبعيه، وفي الغالب إذا نظرنا لكل من يطعن في الثوابت ممن ينتمي إلى الإسلام تجده يتوجه توجها ليس دينيا، ولا يمت للدين بصلة، وهؤلاء في الغالب ليس عندهم برهان، أو حتى دليل ظني يؤيد ما يدعونه من شبهات ضد ثوابت الإسلام وأئمته، وكل شبههم هي في الواقع سفسطة ومغالطات مأخوذة من شبهات المستشرقين، وهم في الغالب ينفذون أجندات الشيوعية والاتجاهات اليسارية المادية التي لا تؤمن إلا بما هو مادي محسوس، وينكرون كل ما هو عقلي أو معنوي، وذلك لأنه لما انهارت الشيوعية في بلادها قبل أن تستكمل تحقيق هدفها، وهو القضاء على الأديان عموما، وعلى الإسلام بشكل خاص، من أجل ذلك أثاروا الشبهات ضد الثوابت والأئمة من أجل تشكيك الناس فيهما، وبالتالي يصلون إلى هدفهم بالتشكيك، ومن ثم فقد الثقة وهدم الدين، ولم ولن يتحقق هدفهم بإذن الله تعالى.

وما يدعونه من الطعن في الصحيحين باطل لأن الأمة تلقتهما بالقبول، وإن كان يوجد فيهما بعض الآثار تتصادم مع العقل فلها تأويل يفهمه علماء السنة المتخصصون بمعرفة متن الحديث من حيث سبب وروده ودراسة سنده وتفسيره حسب المناسبة التي جاء فيها والتوفيق بينه وبين النصوص الأخرى.

وأما طعنهم في كتب التراث وأن فيها آراءًا تدعو إلى التطرف والإرهاب، فهي فرية يهدفون بها القضاء على الفكر الإسلامي الأصيل، والأزهر الشريف ممثلا في علمائه لا يدَعون العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ من أصحاب كتب التراث، فكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه، وإذا كان في بعض كتب التراث فكرة شاذة وتسعة وتسعين قوية ومعتدلة، فليس معنى هذا اتهام كل كتب التراث بالإرهاب، أو اتهام أصحاب هذه الكتب بالإرهاب، وإذا كان في كتب التراث بعض الآراء الشاذة أو كانت بعض الآراء فيها تتناسب مع حياة مؤلف الكتاب ولا تتناسب مع الوقت الحاضر، فعلماء الأزهر الآن وتحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب يفحصون ويمحصون مثل تلك الآراء الشاذة أو المرجوحة، ويبنون ذلك

في ضوء الآراء الراجحة والمعتدلة والتي هي أغلب سمة كتب التراث، ومثل هذه الآراء قام الأزهر بحذفها من المناهج الدراسية، ولو سلمنا بوجود بعض الآراء المرجوحة في بعض في كتب التراث فإنها لا تقدح في أهمية هذه الكتب، ومحتوى كتب التراث في الغالب كنوز ودرر وهي التي نعتمد عليها في حياتنا ونتعلم منها، وهي في المقام الأول أساس حضارتنا وأساس وسطية الأزهر بأفكاره الرصينة والمعتدلة، والتي تنال قبول كل علماء ودول العالم الإسلامي، أليست كتب الإمام الأشعري والباقلاني وإمام الحرمين الجويني والغزالي والفخر الرازي والآمدي والإيجي والتفتا زني كلها من كتب التراث، وأتحدى أن نجد فيها ما يدعو إلى التطرف أو الإرهاب، وإذا كنا نهتم بل نعتز بحضارة الفراعنة من الآثار والأحجار، أفلا نهتم كذلك بحضارتنا العلمية الممثلة في تراثنا العلمي، ومع هذا لا بأس من تمحيصه وفحصه، وهذا هو الواقع منذ أن أنشئت الدراسات العليا بالكليات الأزهرية، حيث يقوم الباحثون في مرحلة الدراسات العليا بدراسة هذا التراث وفحصه في رسائل الماجستير والدكتوراه، والبحوث العلمية المختلفة، في شتى التخصصات الدينية هذا هو منهج التيارات المادية ودحضه وهو واضح لكل مسلم غيور على دينه.

ثانيا: مناهج الفرق التي تدعي السلفية.

أما عن مناهج الفرق التي تدعي السلفية في فهم الدين والذين ضلوا بسببها عن الطريق الصحيح، وابتعدوا عن السلام الذي دعا إليه الإسلام، فهذا ما يدعوني أولا أن أنبه على أمرين:

الأول: هو ضرورة التفريق بين الدين وبين الفكر الديني، أو بعبارة أخص بين الإسلام وبين الفكر الإسلامي، فالإسلام هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذان المصدران معصومان من الخطأ والزلل، لأنهما وحي من رب العالمين، وقد وعد الله عز وجل بحفظ كتابه، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

وعلماء السنة بفضل الله تعالى في الأزهر الشريف وفي كليات أصول الدين، قاموا بتنقية السنة من الدخيل عليها، وبيان ما هو متواتر منها وما هو آحاد، وبيان الصحيح من الضعيف، ومن هنا كان القرآن والسنة من أهم المصادر الأساسية والأصيلة للإسلام وهما لا يتطرق إليهما الخطأ أو الزلل، وليس فيهما ما يدعو إلى التطرف أو العصبية، أو ما يصادم العقل الإنساني الذي وهبه الله لنا لنميز به بين صحيح الفكر وسقيمة، وهذا الأمر ظاهر لصاحب الفطرة السليمة.

أما الفكر الإسلامي فهو فهم من ينتمي إلى الإسلام لنصوص الكتاب والسنة، وهذا الفهم قد يكون صوابا وقد يكون خطأ، فإذا كان خطأ فهو لا يعبر عن الإسلام (الوحي الإلهي) وإنما يعبر عن صاحبه، وإذن فنصوص الوحي لا دخل لها بالفكر المتطرف أو الإرهاب، وإنما التطرف والإرهاب يرجعان إلى فهم المفكر لهذه النصوص، ويترتب على فهمه الخاطئ السلوكيات التي تتصادم مع النصوص، ومما لاشك فيه أن كل إنسان يخطئ ويصيب، ولا عصمة بعد رسول الله ﷺ.

والفكر الخاطئ يُقَوم ويُصَحَح ولا عيب في ذلك، ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ، القدوة الحسنة، فهذا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كما روى الإمام مالك في الموطأ يقول في خطبته بعد وفاة رسول الله ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "فإني وُليت أمركم، ولست بخيركم، ألا وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ كذا، أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أنا أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني"(٢٠).

وقَالَ الخليفة الثاني عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي"(٢١) ولا يوجد إنسان بعد رسول الله ﷺ أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن الخطأ في الفكر يكون بنسبة، فبعض المجتهدين يُخطئ في فكرة أو مسألة، وهو في اجتهاده مأجور، لقول النبي ﷺ «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»(٢٢) وخطأ الحاكم أو المجتهد في مسألة لا يؤدي إلى التطرف الفكري.

والأمر الثاني الذي أحب أن ألفت الأنظار إليه هو أن نصوص الكتاب والسنة صالحة لكل الأزمنة والأمكنة، وهي على نوعين:

النوع الأول: أحكام ثابتة على الدوام والاستمرار وهي ما كانت من أدلة قطعية أو راجعة إلى أصل قطعي مما ورد في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، مثل قضايا العقيدة التي تتمثل في أركان الإيمان الستة، ومثل تحريم الربا، وتحليل البيع، قال تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥] وكحرمة دم المسلم، قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ

---

(٢٠) رواه مالك في الموطأ موطأ مالك: ج ١/ ١٦١، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية- أبو ظبي- الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م.

(٢١) سنن الدارمي: المقدمة:بَابٌ: فِي إِعْظَامِ الْعِلْمِ رقم الحديث: ٦٧٥، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ- ٢٠٠٠ م.

(٢٢) رواه البخاري كتاب: الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، باب: أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ رقم الحديث: ٧٣٥٢.

وَأَمْوَالَكُمْ"(٢٣) فالإسلام حرم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق كأن يكون قصاصا مثلا، وهذا الأمر أعني القصاص ليس أمرا مطلقا لعامة الناس، وإنما هو من اختصاص الحاكم، ومن هنا يتضح أن تحريم الربا، وتحليل البيع، وتحريم القتل، هذه الأحكام ومثلها لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان أو المكان، فالبيع حلال أبدا، والربا حرام أبدا، واستحلال الدماء حرام أبدا، وهذه الأحكام ومثلها ثابتة منذ بعثة النبي ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الأحكام وأمثالها لا مجال للاجتهاد فيها أو التجديد فهي ثابتة على الدوام والاستمرار ومن أجل هذا فهي تتميز بعدة مميزات:

منها العموم والمرونة فهي تعم جميع الناس دون استثناء، وتحقق العدالة بين كافة أفراد المجتمع، كما أنها تتناول جميع مستجدات الحياة.

ومن مميزات هذه الأحكام عدم التغيير والتبديل، فهي لا تقبل ذلك مهما مرت الأعوام وتعاقبت الأزمان، فما كان حلالا فهو حلال أبدا، وما كان حراما فهو حرام أبدا، ومن هنا يتضح أن هذه الأحكام لا تحتاج إلى تجديد لأنها صالحة لكل الأزمنة.

النوع الثاني: وهو الأحكام المتغيرة وهذا النوع ما لم تكن أدلته قطعية ولا راجعة إلى أصل قطعي، وهذا النوع لا يعد العمل به ملزما على وجه الدوام والاستمرار، فيجوز للمجتهدين أو أهل الحِل والعقد من العلماء أن يختاروا من الأحكام ما يرونه مناسبا في ضوء مستجدات الحياة، ومن ذلك على سبيل المثال رمي الجمرات في فريضة الحج، فقد كان المتبع في ذلك إلى وقت قريب أن يكون الرمي بعد الزوال، أي بعد أذان الظهر، إقتداء بالوقت الذي رمى فيه النبي ﷺ، ولما ترتب على ذلك تدافع الحجيج مما أدى إلى موت الكثير منهم أفتى العلماء بجواز رمي الجمرات في أي ساعة من ليل أو نهار، وقالوا كما اجتهدنا في اتساع المكان لا يمنع أن نتوسع في زمان الرمي، والسند في هذا ما رواه عَمْرِو بْنِ العَاصِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ النَّحْرِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: كُنْتُ أَحْسِبُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - كَذَا وَكَذَا قَبْلَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، لِهَؤُلاَءِ الثَّلاَثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ» لَهُنَّ كُلِّهِنَّ يَوْمَئِذٍ، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ»(٢٤) ومثل هذا النوع من الوقائع والمستجدات هو الذي يكون فيه التجديد للفكر الديني، وهذا التجديد ليس في نصوص الوحي وإنما هو في اجتهاد العلماء، وهو ما يسمى في

(٢٣) رواه البخاري: كتاب: الحَجِّ، باب: الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم الحديث ١٧٤٢.

(٢٤) صحيح البخاري: كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ: إِذَا حَنِثَ نَاسِيًا فِي الأَيْمَانِ، رقم الحديث: ٦٦٦٥، (٨/ ١٣٥).

أصول الفقه بالمصالح المرسلة، وهي القضايا أو الأمور التي لم يرد فيها نص أو دليل يدخل تحت عموم الآيات، والمصالح المرسلة، أي التي فيها خير للناس، ولا تتعارض مع دليل أو نص إلهي، والتجديد ليس لكل إنسان بل التجديد يكون للعالم المجتهد الخبير بضروب العلم، الحافظ لكتاب الله تعالى، الفاهم لسنة رسول الله ﷺ، المطلع على المذاهب الفقهية، وتجديده ليس للنص ولكن التجديد يكون في الوقائع والحوادث التي تجد وتستحدث، وذلك بقياسها على وقائع سابقة،

لكن الآن يوجد في المجتمع ما يسمى بفوضى الفتوى للمتخصص وغير المتخصص.

وبعد هذا البيان أعود إلى الفرق التي تدعي السلفية بأنواعها فهم يثيرون شبهات حول الإسلام بغير قصد، أو بقصد، وبذلك ضلوا وأخطأوا الطريق، وفكرهم في الغالب يؤدي إلى التطرف الفكري الذي يترتب عليه مفاسد كثيرة، كالقتل وسفك الدماء والحرق وغير ذلك، كما نرى في هذه الأيام، مما يتنافى مع السلام الذي يدعو إليه الإسلام، وهذا الفكر المنحرف هو ما يحتاج إلى تصحيح وتقويم إذا كنا ننشد السلام ألإقليمي والعالمي، وذلك عن طريق إدخاله وبيان زيفه في المناهج الدراسية لوقاية أبنائنا وبناتنا من هذا الفكر الضال والمضل.

منهج السلفية الجهادية

منهج السلفية الجهادية هو الأخذ بظاهر النص وعدم الفهم الصحيح له، وهذا يؤدي إلى الفهم الخاطئ، ومن ثم السلوك الخاطئ، فبعض المتطرفين والإرهابيين ممن ينتمون إلى السلفية الجهادية يفهمون بعض الآيات بعزلها عن سياقها الذي وردت فيه، وعدم معرفة سبب نزولها، ومن ذلك على سبيل المثال، قول الله تعالى: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة: ١٩٤] فالبعض فهم أن المثلية في الاعتداء الوارد في الآية الكريمة هي الواجبة بنص القرآن، بمعنى أن من اعتدى عليكم بسرقة أو زنا أو أقتل أو أي نوع من أنواع الاعتداء فيجب الاعتداء عليه بمثل ما اعتدى، بأن يُسرق ماله، أو يُزنى بداره، أو يقتل كما هو معروف بالثأر، وهذا الفهم خاطئ للآية، ويترتب علي هذا الفهم محال، وهو أن الله يأمر بالفحشاء، وهذا الفهم الخاطئ سببه عزل الآية الكريمة عن السياق الذي وردت فيه، والفهم الصحيح للآية، حل القتال في الشهر الحرام لمن قاتل فيه، لأن الله عز وجل يقول: { الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: ١٩٤] والمعنى أن من اعتدى عليكم بالقتال فقاتلوه، وردْ الفعل بالقتال على من قاتل ليس للأفراد، وإنما صاحب القرار فيه هم ولاة

الأمر(٢٥).

ومن فهمهم الخاطئ لنصوص السنة قول النبي ﷺ "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة"(٢٦) وهذا الحديث قد فهموا منه أن المراد بقول النبي ﷺ "أقاتل" بمعنى أن أقتل الناس، وليس الأمر كذلك، لأن النبي ﷺ قال: أقاتل ولم يقل أقتل، والفرق بينهما كبير، وهذا ما يراه كثير من العلماء، لأنه يوجد فرق كبير بين المقاتلة على الشيء والقتل عليه، فإن المقاتلة تكون من الجانبين، بمعنى أقاتل من يقاتلني، أو أقاتل كل من جحد الصلاة، أو منع الزكاة جحودا من المسلمين، ولا يلزم من وجوب المقاتلة على الصلاة وجوب القتل عليها إذا تركها، وقد استنكر الشيخ ابن دقيق العيد هذا الفهم الخاطئ للحديث وقال: لا يلزم من إباحة المقاتلة إباحة القتل، لأن المقاتلة مفاعلة تستلزم وقوع القتال من الجانبين، ولا كذلك القتل، وحكي البيهقي عن الإمام الشافعي أنه قال: ليس القتال من القتل بسبيل، قد يحل قتال الرجل ولا يحل قتله(٢٧)، ومن هنا فإن الجماعات التي تبيح القتل استنادا إلى هذا الحديث، ومن ثم يقع منها القتل بالفعل، فهمها خاطئ لنص الحديث، وفعلها لا يتوافق مع نصوص الإسلام الحنيف الذي يدعوا إلى السلم والسلام، والأمثلة للفهم الخاطئ للنصوص كثيرة.

منهج السلفية العلمية

أما عن منهج السلفية العلمية أو من يدعي السلفية في فهم نصوص الوحي، فهم كذلك يدعون أنهم يقتدون بالسلف الأوائل، والسلفية العلمية منتشرة بشكل واضح بكل أسف، ومنهج هذه المدرسة الأخذ بظاهر النص دون إعمال العقل والمنطق، ورفضهم للمجاز والتأويل في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقولهم عن المجاز أنه كذب، ونأخذ على ذلك بعض الأمثلة فمثلا قول الله تعالى: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: ١٠] ، قالوا له تعالى يد حقيقية لكن ليست كأيدينا، وكذلك له عين وله ساق ووجه وجنب وقدم ونزول واستواء وضحك الخ، ويذهبون إلى أن هذه صفات حقيقية ثم يناقضون أنفسهم بعد ذلك ويقولون بلا كيف، فهم يرفضون تأويل هذه النصوص الموهمة للتجسيم، ويأخذون بالمعنى الظاهر لها، وهذا الفهم يلزم منه

---

(٢٥) راجع: فتح القدير: ومحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ج١ / ص ٢٢١، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦ / ٣٨٧.

(٢٦) رواه البخاري: كتاب: الإيمَانِ، باب: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ } التوبة: ٥ رقم الحديث: ٢٥.

(٢٧) راجع: فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٦، نشر: دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩.

التجسيم ويؤدي إلى تناقض النصوص كما في قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦، ٢٧] فهم أثبتوا لله وجها حقيقيا، وهذا يلزم منه مع منع التأويل أن كل شيء في ذات الله تعالى يفنى ماعدا الوجه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولا يغنيهم قولهم بعد ذلك وجها لا كوجهنا، بل وجه يليق بجلاله، فهم وإن كانوا يريدون التنزيه لكنهم وقعوا في التجسيم، بل ووقعوا في التناقض(٢٨).

كذلك قول الله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: ٥] قالوا استواء حقيقي يليق بجلاله، أي جلوس حقيقي، مع أن العرش مخلوق، فكيف يجلس عليه الخالق؟ فهذا الفهم ممن يدعي السلفية يلزم منه التجسيم، ويَردُ عليه إلزامات كثيرة مستحيلة في حق الله تعالى، مثل حاجته تعالى للعرش، أو أن يقال أين كان قبل خلقة للعرش؟ تعالى الله عن ذلك، وكذلك فهمهم لحديث النزول الذي قال فيه النبي ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ »(٢٩) ففهم مدعو السلفية من هذا الحديث الصحيح أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة حقيقة بذاته، وهذا الفهم يلزم منه أن الله تعالى جسم، بل ويلزم منه الطعن في نصوص الدين، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في جريدة أخبار اليوم مقال للصحفية مديحه عزب تقول فيه ينزل:" بتوقيت أي دولة يا مشايخنا الأفاضل" وتطعن في الحديث لأنه يلزم منه على فهم مدعي السلفية أن الله ينزل ولا يصعد مرة أخرى، لأن الثلث الأخير من الليل موجود في كل لحظة على مدار الأربع وعشرين ساعة، فهي تقول "فليقل لنا مشايخنا الأفاضل بتوقيت أي دولة ينزل الله سبحانه وتعالي من عليائه إلي السماء الدنيا إذا كان الزمن يتحرك من مكان إلي مكان كل أربعة دقائق، واضح طبعا أن الذين وضعوا الحديث كانوا يجهلون تماما مسألة خطوط الطول والعرض، وبدلا من أن يقوم مشايخنا الكرام بغربلة هذه الأحاديث ومراجعتها نراهم يتعاقبون عليها جيلا بعد جيل ليرددوا ما يقال لهم بلا تفكير"(٣٠)، وهذا الكلام الذي ذهبت إليه الصحفية فيه جزء صحيح، وهو أنه تعالى لو كان ينزل بذاته كما يدعي مدعو السلفية فيلزم من ذلك أنه نزل ولم يصعد، لوجود الثلث الأخير من الليل في كل دقيقة، ويلزم منه أن

---

(٢٨) راجع بحث المجاز والتأويل بين المثبتين والنافين وتطبيقهما على مسألة الاستواء ص ١٢٩٣ بحولية أصول الدين عدد٢٦، سنة ٢٠١٣.

(٢٩) رواه أحمد في مسنده: رقم الحديث ١١٢٩٥، تحقيق: شعيب الأرنئوط نشر: مؤسسة الرسالة، ط: أولى، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م..

(٣٠) راجع جريدة أخبار اليوم بتاريخ ١٩ /٩ / ٢٠١٦ م.

الحديث مكذوب وموضوع.

أما الجزء الخطأ في كلام الصحفية فهو الطعن في الحديث، لأنه من الأحاديث الصحيحة، فلو أنها أخذت بالفهم الوسطي للحديث فهم الأزهر الشريف القائم على المذهب الأشعري الذي يبين أن المراد بالنزول في الحديث نزول رحمته تعالى لما حدث تعارض بين الحديث وبين الواقع، وما وقع هذا الطعن منها إلا بسبب اعتمادها على فهم مدعي السلفية الخاطئ للحديث.

ونجد في مقابل الفرق التي تدعي السلفية المذهب الأشعري فيه اعتدال ووسطية وفهم صحيح للنصوص فمنذ القرن الثالث الهجري ولم يتصادم الشرع مع العقل عنده أبدا ولا مع الواقع، وهذا ما يميز المذهب الأشعري وللعلم هو أكثر اتباعا على مستوى العالم الإسلامي.

والفهم الصحيح للنصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه هو ما كان عليه أصحاب القرون الثلاثة الأولى، حيث كان موقفهم إزاء هذه النصوص عدم الخوض فيها، بعد أن يؤولوها تأويلا إجماليا، وكانوا يقولون أمنا بما جاء عن الله على مراد الله، وأمنا بما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله، والأشاعرة والماتريدية يتبعون منهج السلف الأوائل ويفوضون المعنى في النصوص الموهمة إلى الله تعالى أولا، ويقولون الله أعلم بمراده، لكن عند وقوع التشبيه يؤولون هذه النصوص بما يليق مع ذات الله تعالى، وذلك لأنه لما كثر التجسيم والتشبيه في البيئة الإسلامية قام الإمام المجدد أبو الحسن الأشعري، وبين أن مثل هذه الألفاظ الموهمة معناها مجازي، ويجب أن تؤول من أجل تنزيه الله عز وجل عن التجسيم والتشبيه، لأنه تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } فنظر في هذه الآيات التي نحن بصدد الحديث عنها واستقرأ المعاني الواردة فيها فوجد أن اليد مثلا في اللغة تطلق على الجارحة، وتطلق كذلك على القدرة وتأتي أحيانا بمعنى النعمة، يقولون فلان صاحب يد على فلان، أي صاحب نعمة عليه، وفلان تحت يد فلان، أي تحت سلطته وقدرته، ومادام اللفظ له أكثر من معنى فلما لا نحمله على المعنى الذي يليق بذات الله تعالى ولا يتصادم مع باقي نصوص الوحي، ومن هنا أول الإمام أبو الحسن الأشعري ومدرسته من بعده اليد الواردة في الآية إلى المعنى المجازي، وهو القدرة، وبالتالي يصبح معنى الآية قدرة الله فوق قدرتهم، وكذلك قال السادة الأشاعرة أن المراد بالوجه في الآية أي ذاته عز وجل، والمراد باستواءه تعالى اقتداره عز وجل على العرش، لأنه أعظم المخلوقات، وإذا قدر عليه فهو أقدر على ما سواه من باب أولى، وقالوا إن المراد بنزوله عز وجل نزول رحمته تعالى، أو نزول ملك من ملائكته، وأن العين المراد بها الرعاية، وهكذا أولوا سائر النصوص الموهمة للتجسيم والتشبيه، والتأويل عندهم يقوم

على ضوابط وليس رياضة عقلية([٣١]).

واستخدام التأويل عندهم يكون لدفع التشبيه، فإذا وجد التشبيه فيلزم التأويل فالتشبيه هو الداء والتأويل هو الدواء كما قال بن الجوزي.

كذلك يستخدم التأويل عندهم لدفع التعارض بين العقل والنقل، أو تعارض نص قطعي مع نص ظني أي عند تعارض نص متواتر مع خبر آحاد، وعند مصادمة النص من حيث الظاهر مع العقل أو مع الواقع، يؤول خبر الآحاد([٣٢])، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يؤولون عند وجود هذه الأسباب، فابن عباس رضي الله عنه أول قولَ الله تعالى {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة: ٦٧] فقال تركوا الله فتركهم([٣٣]).

والسبب في الفهم الخاطئ عند الفرق التي تدعي السلفية أن الناس لهم أكثر من مستوى في فهم نصوص الوحي، فمن الناس من يستخدم حواسه الخمسة فقط البصر والسمع واللمس والشم والذوق ويقف عند هذا الحد في فهم النص، وهذا يؤدي إلى الفهم الخاطئ، ومن الناس من يستخدم عقله وفكره بعد إمداد الحواس له بالمعلومات، وهذا هو المنهج الصحيح، أي العبور من الحواس إلى العقل، وهذا المنهج أرشدنا إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات التي تحث على النظر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، مثل قول الله تعالى "أفلا يعقلون" "أفلا يتدبرون" "أفلا ينظرون" وهذا المنهج القرآني الذي يحث علي النظر والفكر والتدبر هو الذي استخدمه الإمام أبو حامد الغزالي في تجديده للخطاب الديني في عصره في كتابه المشهور "إحياء علوم الدين" وله في ذلك كلام جميل ومعبر عن وسيلة الفهم والمعرفة للنصوص يقول: فيه إياك أن تقتصر بتصديقك على ما يُدركه البصر والحواس فقط فتكون مثل الحيوانات التي تشاركك في الحواس الخمس، وإنما أنت مفارق للحيوانات بسر إلهي، عُرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه ـ وهو يعني بهذا السر العقل ـ فكل من لم يعرف إلا المُدرك بالحواس فقد نسى الله، إذ ليس ذات الله مُدركًا في هذا العالم بالحواس الخمس، وكل من نسي الله أنساه الله لا محالة نفسه، ونزل إلى رتبة البهائم، وترك الترقي إلى الأفق الأعلى"([٣٤]).

([٣١]) راجع بحث المجاز والتأويل بين المثبتين والنافين وتطبيقهما على مسألة الاستواء ص ١٢٩٣

([٣٢]) أساس التقديس للرازي صـ ٢٢٠، تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.

([٣٣]) تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (٦/ ١٨٣٢) نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة- ١٤١٩ هـ.

([٣٤]) إحياء علوم الدين: للغزالي، (٤/ ٢٩) دار المعرفة- بيروت، د.ت.

فالعقل إذن جوهرة ثمينة يتميز بها الإنسان على سائر الكائنات، وبدون العقل لا يوجد مجال للتلقي عن رسالة الوحي بوصفها سببًا للمعرفة والعلم والتوجيه، ولا مجال لمسئولية الخلافة الإنسانية، وإعمار العالم دون وجود العقل، وإعمال دوره، ووظيفته في الفهم، والإدراك والتمييز بين المصالح والمفاسد، وبالعقل يفكر الإنسان، ويبحث، وينقب ليكتشف الحقيقة من المعطيات التي تقدمها له الحواس، وبإمكان أفراد الإنسان جميعا أن يستفيدوا من الحواس والعقل، في معرفة الكون، وفي فهم العقيدة والشريعة، وباستخدام العقل في مناهجنا نفهم الفهم الصحيح ونصل للسلام المنشود.

ومن هنا يظهر لنا أن من قصر الفهم والمعرفة على الحواس الخمس الظاهرة فقط فقد أخطأ عقديا وفقهيا، لأن الحواس الخمس، لا يستفاد منها إلا في مجال المحسوسات فقط، وهؤلاء الذين يدعون السلفية ويتدبرون النصوص في ضوء المحسوس فقط، وينكرون التأويل والمجاز في نصوص الكتاب والسنة، وهذا المنهج جد خطير، لأنه يؤدي إلى تضارب النصوص عند متبعه مما يؤدي إلى التطرف الفكري، وعرقلة السلام العالمي، مع أن المتعارف عليه عند علماء اللغة والبلاغة أن الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز، وهذه هي اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية حتى العوام يستخدمونها، فغالب كلام الناس يعتمد على المجازات، يقال مثلا للضيف العزيز نورتنا، وهذا معنى مجازي، ونقول جرى الماء في النهر، مع أن الماء لا يجرى، ولكن الذي يجريه هو الله عز وجل، ومع هذا يصر مدعو السلفية على إنكار المجاز والتأويل في اللغة وفي القرآن الكريم، وهذا بلا شك يؤدي إلى الفهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة، والجهل باللغة العربية.

كذلك من أسباب الفهم الخاطئ للنصوص عدم تحديد المفاهيم من الألفاظ مما يؤدي إلى الخلط في المعاني وذهاب كل واحد إلى وجهة مختلفة عن الآخر، والذي يعتني بتحديد المفاهيم بدقة ويعصم الذهن عن الخطأ في التفكير علم المنطق الذي يعتني به الأزهر الشريف في مراحل التعليم المختلفة، ومع هذا نجد الفرق التي تنكر المجاز والتأويل تحرم دراسة هذا العلم، واستندوا في هذا على شبهات واهية، هذه هي أهم أسباب الفهم الخاطئ الذي يؤدي إلى الانحراف الفكري، ويترجم في الواقع إلى التعدي على حقوق الإنسان، وبالتالي يعرقل قضية السلام الذي ننشده.

ومما سبق يتبين لنا بجلاء أن السبب في التطرف والإرهاب هو فكر دعاة المادية والعلمانية والفرق التي تدعي السلفية، وأن غلو الفرق السلفية كان رد فعل لإفراط المذاهب

المادية والعلمانية، التي تدعو إلى تفريغ الدين عن مضمونه، وبهذا يتضح أنه ليس الأزهر ولا مناهج الأزهر ولا كتب التراث التي تدرس في الأزهر، هي السبب فيما يحدث من تطرف أو إرهاب على المستوى الإقليمي أو العالمي، وإدعاء الكثير من المثقفين في القنوات الفضائية أن مناهج الأزهر تدعو إلى التطرف والإرهاب دعوي يعوزها البرهان، والواقع خلافها، لأن مناهج الأزهر وسطية ومعتدلة تدعو إلى المواطنة والأخوة والمحبة والتسامح ونبذ الأفكار المتطرفة كما سبق بيانه، ولا يوجد واحد ممن قاموا بأعمال إرهابية ينتسب إلى الأزهر الشريف، وقد أكد التطبيق العملي لدراسة المناهج الأزهرية الأصيلة على أن كثيرا من علماء الأزهر الذين نهلوا من هذه المناهج كانوا قادة على المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي على مستوى العالم العربي والإسلامي، وتاريخنا الحديث يذخر بأسماء كثير من هؤلاء العلماء كالشيخ محمد عبده، والشيخ جمال الدين الأفغاني، والدكتور مصطفى عبد الرازق، والدكتور البهي، وفضيلة الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله، وفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر حفظه الله، ومعالي وزير الأوقاف الأسبق الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، ومعالي وزير الأوقاف الأسبق محمد عبدالفضيل القوصي، وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكرهم، والحق أن الأزهر هو منارة العلم على مستوى العالم الإسلامي كله منذ أكثر من ألف عام، وإنما التطرف والإرهاب يتمثل في الفرق التي سبق ذكرها مثل جماعات التكفير، والذين يَدَعُونَ السلفية، والسلفية الجهادية (داعش) كما سبق بيانه.

أما عن العلاج فهو أن يرجع الوضع إلى المنهج الصحيح منهج الإمام المجدد أبو الحسن الأشعري، وهذا المنهج يقوم الأزهر الشريف بتدريسه لطلابه في مراحل التعليم المختلفة بدأ من الإعدادية وانتهاء بأعلى الدرجات العلمية، ويجب أن ننشر هذا المنهج الوسطي المعتدل في المجتمع، لأن بنشره تنبذ الأفكار المتطرفة، وينبذ الفهم الخاطئ للنصوص، وهذا يعد من أهم الأمور في تطوير المناهج الدراسية للوصول إلى السلام العالمي المنشود.

ويجب تطوير المناهج الدراسية بإضافة بعض المفردات والمناهج يجمع فيها الشبهات والسلوكيات الخاطئة والآراء النابعة على غير منهج أو أساس علمي والتي يقوم بها المتطرفون باسم الإسلام، وبيان الرد عليها، وذلك لتخريج جيل قادر على الحوار والمناظرة والرد على المشككين والمعاندين ودفع الشبهات التي تثار من قبلهم ، وهذا ما يقوم به الأزهر الشريف الآن حسب توجيهات فضيلة الإمام الأكبر.

ومن وسائل الوصول إلى السلام العالمي كذلك مقاومة الأفكار المتطرفة بتخصيص نشرات للتوعية الدينية لنشر الوسطية الدينية الممثلة في منهج الإمام أبي الحسن الأشعري.

ومن وسائل الوصول للسلام إعادة دراسة النصوص الإسلامية المتعلقة بغير المسلمين وإبراز الوجه الحضاري للإسلام، القائم على احترام الآخر......... كالذى يقوم به فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر من جولات أوربية فى دول شرق أسيا وفي إفريقيا لنشر الفكر الوسطي المعتدل ونبذ التطرف والإرهاب.

ومن الوسائل ضرورة التوسع في إنشاء مراكز تدريب دعوى وإعداد الدعاة على المنهج الوسطي المعتدل الذي ينبذ الأفكار المتطرفة والفهم المغلوط، ويجب أن يَعرف الداعية حقائق الدين الثابت والمتغير منها، وما يتأتى فيه الاجتهاد ومالا يتأتي، وكيفية معالجة السلبيات التي يراها في المجتمع لعلاجها والرد عليها، وعدم معرفته بهذه الأمور يعدا خطرا عظيما، ويكون ذلك كله تحت إشراف الأزهر الشريف، لأن التطوير في مناهج إعداد الدعاة يحتاج إلى مؤسسة علمية وسطية معتدلة مثل الأزهر لكي يتربى فيها الدعاة على يد العلماء الذين يفهمون الدين فهما وسطيا بعيدا عن الإفراط والتفريط.

وقضية السلام تحتاج إلى خطط إستراتجية ـ مستقبلية ـ للوصول إلى هدم الأفكار المنحرفة والمتطرفة وسيادة المنهج الوسطي على أرض الواقع، وهي تحتاج إلى تضافر جهود المجتمع كله لمقاومات الأفكار والسلوكيات الخاطئة هذا والله تعالى أعلم، وأسال الله عز وجل أن يجعل عملي في هذا البحث خالصاً لوجهه تعالى وأن يجعله في ميزان الحسنات يوم لقائه، {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) } [هود: ٨٨].

* * *

الفهرس

* * *